الوصية السادسة عشرة:

لا تكوني آمرة له ولكن كوني طالبة منه

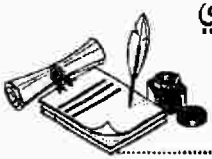

إنَّ اللهَ قد جعلَ القوامة للرَّجُلِ تكليفًا لا تشريفًا لما فيه من التَّأْهيل الخَلْقي لهذه المسئولية، فقال – تعالىٰ –: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [النّساء: ٣٤].

وقال: ﴿ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فينبغي للزّوجة أن تقدّر هذه القوامة من الطّاعة له في المعروف والتّأدُّب في مخاطبته، فلا تصدر الأوامر له مثل: قمْ، اجلسْ، اشترِ، لا تخرجْ، لا تذهبْ، لا

تزرْهُمْ، لا تُكلّمهُمْ، أعطِهِمْ، لا تُعْطِهِمْ... ونحو ذلك مما يكثر في البيوت، وقد تكون غير قاصدة ذلك، فإنّ ذلك يُفقدُ الرَّجُلَ رجولته وقوامته، ويكون مُهانًا في بيته، وليس هذا منعًا لك أن تُحَقِّقِي ما أردْتِ، ولكن تخيَّري لفظ الطَّلب والالتماس، مثل أن تسبقي ذلك بلفظ أرجوك، لو سمحت، لي طلب هل تجيبه ونحو ذلك.

الوصية السابعة عشرة:

لا تُفْشي له سرًا ولا تذكري له عيبًا أو نقصًا

فلتعلمي أنّك لباسه الّذي يستره، فأنت موطن سره ومكشف عيبه ونقصه، والسّرُّ أمانة، واللهُ - عزَّ وجَلَّ - يقول: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** (٢٧) ﴾ [الأنفال: ٢٧]، ويقول النَّبيُّ - ﷺ -: «**إذا حدَّث الرجلُ ثُمَّ التَفَتَ، فهي أمانة**»(١)؛ وذلك لأنَّ المجالس أمانة

(١) رواه التّرمذيُّ وأبو داود، وحسّنهُ الألبانيُّ في «المشكاة» (٥٠٦١)، وفي «الصحيح» (١٠٩٠).

يُحفظ سرّها، ويقول النَّبيُّ - ﷺ -: «**إنّ من أشرّ النَّاس عند الله منزلةً يوم القيامة الرجُلُ يُفضي إلىٰ المرأة وتُفضي إليه، ثُمَّ ينشُرُ سِرَّهَا**»(١).

والإفضاءُ كناية عن الجماع، فكشف سر الجماع، أي تفاصيل ما يقع حال الجماع، وقبله من مقدّمات الجماع من الكبائر لا يجوز كشفه إلاَّ ما كان من جهة الاستفتاء أو الفتوىٰ، فتعودي دائمًا ألاَّ تُفشي شيئًا مِمَّا يَحدُثُ في مجلسه إلاَّ إذا كان من باب الثَّناءِ عليه مِمَّا لم يكن سراً أو مُخالفًا للمروءَاتِ.

واحذري من ذكر عيوبه ونقائصه في حضوره وغيابه حَتَّىٰ ولو كانت ناصحةً له، فينبغي أن تكوني حكيمة في نُصحه، ومن آداب النَّصيحة:

(١) رواه الإمام مسلم في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدريّ.

- أن تكونَ سراً - كما ذُكِرَ عن الشَّافعي - رحمه اللهُ - : «من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظ أخاه علانية فقد فضحه وشانه».
- أن يخاطب الإنسان علىٰ قدر مقامه ومكانته ومنزلته، وقد سبق أن ذكرنا كيفيّة مخاطبة المرأة لزوجها.
- أن يكون المقصد تصفيته من العيب لا استضعافه واستصغاره.

وذكر المرأة عيوب زوجها في غيابه فيه إثم عظيم، فإذا كان عاقبة غيبة المسلم إثمها عظيم ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢].

فكيف يكون إثم المرأة المغتابة لزوجها، ولو كان

ذلك فيه؟!، أمّا إذا لم يكن فيه فذلك هو البهتان كما صرّح بذلك سيد ولد عدنان – ﷺ – ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أنّ رسول الله – ﷺ – قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتَّهُ**»(١).

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قُلتُ للنَّبيّ – ﷺ – حسبُكَ (أي كافيك) من صفيَّة كذا وكذا – قال بعض الرواة : تعني قصيرة – فقال: «**لقد قلت كلمة لو مُزِجَتْ بماء البحر لمزَجَتْهُ**».

(١) أي: افتريت عليه الكذب. والحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه.

قالتْ: وحكيتُ له إنسانًا[١]، فقَالَ: «**ما أحبُّ أنِّي حكيت إنسانًا[٢] وإن لي كذا وكذا**».

وإيَّاكِ إيَّاكِ أن تنخدعي بأحاديث مجالس بعض النِّساء اللاتي هَمُّهُن ذكر عيوب أزواجهنّ، فهذه تقول لا يساعدنا في شيء، كسلان ، يحبُّ النَّوم، ما يُحرِّكُ ساكنًا، وغير ذلك من ألفاظ اللَّمزِ والغمزِ، فاحفظي لسانك عن زوجك، فإنَّ ما يُنْتقص منه، يُنْتقص منك، وكوني مُقتدية بأُمِّ زرع لأبي زرع[٣].

واعلمي أنَّ ثناءَكِ علىٰ زوجك كُلَّمَا صنع لك

---

(١) أي: حكيت له حركة إنسان يكرهها.

(٢) فعلت مثل فعله. والحديث رواه أبو داود والترمذيّ بإسناد صحيح.

(٣) وهو حديث طويل في البخاريّ، وخلاصته أنّ نسوة اجتمعن وكلهنّ يعبن أزواجهن ما عدا أم زرع أثنت علىٰ زوجها خيراً، فقال النَّبيُّ – ﷺ – لعائشة: «**كوني مثل أم زرع لأبي زرع**».

معروفًا وذكر محاسنه وعدم جحدها يُقرّبك من الجنة ويُبْعدك من النار؛ ففي الحديث الَّذي رواه مسلم عن ابن عبّاس – رضي الله عنهما –، والبخاريُّ عن عمران بن حصين – رضي الله عنه – أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قالَ: «**اطَّلَعْتُ في الجنَّة فرأيتُ أكثر أهلها الفقراء، واطّلعتُ في النّار، فرأيتُ أهلها النِّساء**»، وقد بيَّنَ النَّبيُّ – ﷺ – سبب كثرة النِّساء في النار، فقال: «**لأنَّكُنَّ تكفرن العشير، وتُكثرن اللعن**»[1]، وكفران العشير هو جحد ما يقدمه أو ما قدّمه الزّوج.

وَذِكْرُكِ لمحاسن خُلُقه يجعلك دائمًا كبيرة في عينه، ساكنة في قلبه.

(١) والحديث بتمامه كما هو في «الصحيحين» عن أبي سعيد الخدري أنَّ النَّبيَّ – ﷺ – قال: «**يا معشر النساء، تصدَّقْنَ وأكْثرن الاستغفار؛ فإنّي رأيتكن أكثر أهل النار، إنّكن تُكْثرن اللعن وتكفرن العشير**».

الوصية الثامنة عشرة:

اجعلي خدمتك له تودُّدًا ورغبة لا منًّا عليه

إنَّ المرأة مفطورة علىٰ الرعاية والخدمة، والعرف حاكم وقاضٍ بذلك، وكما سبق أن ذكرتُ لك أيّتها العروس والزوجة المصونة أنَّ الرَّجُلَ حسّاس فلا يقبل من المرأة ترفُّعًا أو منّاً عليه؛ ولذلك اجعلي من دافع خدمتك له تحبُّبًا وتقرُّبًا إليه، وستجدين في ذلك راحة وتلذُّذًا بما تقومين به، وهذه هي طبيعة المرأة السويَّة، أمّا المتأفِّفَة من الخدمة لزوجها الَّذي هوَ جنّتها ونارها – كما سبق ذكره في حديث حصين

ابن محصن – فإنّها تقود نفسها إلىٰ العذاب والشّقاء في حياتها الزوجية.

وحاولي وأنت تقدّمين له الخدمة أن تقولي له بعض الكلمات الآسرة للقلوب، مثل هذا قليل في حقّك، لو قدّمت ما قدّمت ما وفَّيْتُ شيئًا مما تُقدِّمه لي، فكيف وأنت وهبت لي قلبك... ونحو ذلك.

الوصية التاسعة عشرة:

اجعلي الابتسامة والترحيب عنوانًا عند استقباله

كثيرٌ من النِّساء من حرصها علىٰ شئون ومُتطلبات الأسرة، تواجه الزوج عند دخوله عليها بالسُّؤَالِ عن المتطلبات والنواقص، وتنسىٰ أنَّ زوجها الَّذي خرج من عندها بطيب بالٍ، قد خالط النَّاس وعافس الأعمال، وهذا له تأثير علىٰ نفسيته، وربَّما في العمل أو في الطَّريق من عكَّر مزاجه وأثار غضبه، فهو يحتاج إلىٰ من يُلاطفه، ويمتص غضبه، ويُخفّف من عنائه وتعبه، فيُفَاجأ عند دخوله البيت بالهجوم

من قِبَلِ المرأة بالسُّؤالِ عن المُتطلبات؛ فتُثير غضبه وانفعاله، ويزداد غضبًا فيفرّغ غضبه وحنقه وتعبه فيها، وهي لا تدري لماذا يفعل هذا ويتصرف هذا التصرّف، وربَّما استدعىٰ ذلك إلىٰ الانفصال.

فالمرأة الحكيمة المُدركة لتلك الأحوال تُحسنُ استقبال زوجها بابتسامة وترحيب حار، كأن تقول يا مرحبًا بأبي فلان بالكنية الَّتي يُحبُّها، وبقُبْلَةٍ عابرة إذا لم يوجد غيرها في البيت، وإذا كان معه شيء في يده أخذته أو بعضًا منه، ثُمَّ هيَّأتْ له مجلسه، ثُمَّ تسأله عن حاله بعد أن فارقها، ثُمَّ بعد ذلك وبأسلوب مهذب ومُؤَدَّب تقول له: لعلّك ما تمكّنت من أن تأتي بالطّلبات الَّتي طلبتها، وتأخذين جوابه ببساطة وسعة صدر، وتقولين له: إن شاء الله تأتي به

في المرة القادمة، وإني سأُذكّرك، ولا تحمل همّه، سنتصرّف هذا اليوم.

وإذا كانت الزوجة تعرف وقت انصرافه من العمل، تتصل به قبل انصرافه، تسأله أولاً عن حاله، ثُمَّ ثانيًا تقول له لو سَمحَتْ ظروفك نريد كذا، أو لا تنسىٰ كذا.

الوصية العشرون :

تعرَّفي إلى طباعه وأذواقه وعامليه بحسب ذلك

ينبغي أن تعرفي وتروّضي نفسك أنَّك ستنتقلين إذا تزوّجت إلىٰ بيت جديد لا تعرفينه في الغالب من قبل، وإلىٰ أهل لا تعرفينهم من قبل.

فاجعلي الفترة الأولىٰ فترة رصد واستطلاع، فلا تبني علىٰ كل تصرُّفٍ حُكْمًا، فربَّما أخطأت فيه، حتَّىٰ تتمكَّني من معرفة طباعه وطباع أهله، فتتعاملين معهم علىٰ حسب طباعهم لا علىٰ حسب ما يصدر منهم، وبذلك تُجنِّبين نفسك كثيراً من المشاكل والصدامات، وغلِّبي دائمًا المحاسن علىٰ المساوئ.

كما عليك إنْ أردْتِ النَّجاحَ في علاقتك الزوجيَّة بعد معرفة طباع زوجك، أن تتعرّفي إلىٰ أذواقه وميوله الَّتي يُحبُّها ويميل إليها، وهذا يُشكِّلُ نوعًا من التَّقارُبِ والتَّمازُج بين الشَّخصيَّتَيْن في شخصيَّة واحدة، فلا تحصل بعد ذلك النُّفْرة؛ لأنّ الإنسان لا ينفر من نفسه، ولا بأس أن تقدِّمي له بين الحين والحين ما عندك من أذواق؛ ليُشَاطِرَكِ أذواقكِ وميولكِ، لكن لا تجعلي أذواقكِ وميولكِ متقدمة علىٰ أذواقه وميوله.

ولا يعني هذا منعك من الإبداع، فإن الرَّجُلَ أميل إليه، وقد يجاملك في ميولك ورغباتك وخاصة إذا سكنتِ قلبه.